جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية/ الدراسات العليا

الحِجاج اللُّغوي في كتاب التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل لأبي حيّان الأندلسيّ ت٧٤٥هـ

أطروحة مقدّمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة ديالى

وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية

وآدابها (تخصص لغة)

من الطالبة:

هدى داود سليم عبدعلي

بإشراف

الأستاذ الدكتور:

أ.د حُسين إبراهيم مبارك التميميّ

١٤٤٤ هـ ٢٠٢٣م

الفصل الأوّل

الأفعال الكلامية والحجاج اللغويّ

الأفعال الكلامية: مفهُومها ووظيفتها وأنواعها:

تعدُّ الأفعال الكلامية أهم النظريات اللسانية وأبرزها؛ لارتباطها بالتداولية، وتَعُد النواة المركزية لها، و في هذا المجال ، يقول فان دايك: ((تختص التداولية بوصفها علمًا، بتحليل الأفعال الكلامية، ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجهٍ عام))[١] ؛ إذ تبحث كلٌّ من التداولية ونظرية الأفعال الكلامية أبرز القضايا اللغوية المرتبطة بميدان التفاعل الفكري والاجتماعي، وتداخلها مع الكثير من العلوم التي تشتمل على موضوع دراسة اللغة الطبيعية.. [٢] .

وإذا أمعنّا النظر في الظواهر اللغوية عمومًا والدلالية خصوصًا التي جذبت عناية اللغويين والمفسرين العرب في معالجاتهم اللغوية نجد أنَّ توجهاتهم البحثية والتحليلية كانت تختص بالدراسة القواعدية المعيارية، أو المعجمية، أو المقامية، وهذا الأمر دفعهم إلى إبراز توجهات تحليليّة لبنية بعض النصوص من خلال تحديد وجهتها الإخبارية والإنشائية، وتفسير الأغراض والدلالات الثانوية التي يؤديها هذان النمطان من الكلام العربي، وإذا جئنا إلى سعة حدود التداولية فإننا نجدها كبيرة، لدرجة أن (نظرية الأفعال الكلامية) تَعُد جزءًا منها بل أهمها وأبرزها؛ لشموليتها أغلب الاستعمالات اللغويّة المندرجة ضمن الاستعمال الكلامي، بمعنى آخر؛ أنها منصبَّة على فعلية الكلام وقدرته الإنجازية ، وهو ما يَعُدُّ مبدأ لها، وبالتالي فإنَّ عمل هذه النظرية هو تحويل المعطيات الفكرية إلى هيئات وأفعال كلامية تشتمل على سلوكٍ لغويّ، كالأنماط الخطابيّة المختلفة للُّغة الطبيعية ، وكلّ هذا ؛ لأنّها تبحث العلاقة بين اللغة والاتصال[٣] ، وهذا يعطي مؤشرًا على أنَّ الأفعال الكلاميّة لها

(١) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ٤٩

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب ١٦

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٨١-٨٢

صلة وثيقة بالعالم الخارجي بجميع ما يحويه من المقومات الذاتية والموضوعية، وبالتالي يؤدي ذلك إلى توجيه طريقة استعمالاتها الدلالية[١] .

من هذا نستنتج أنَّ نظرية الأفعال الكلاميّة تنحصرُ نظرتها إلى اللغة على أنَّها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، وتهدف بذلك إلى إظهار المقاصد المباشرة وغير المباشرة، وهو ما يسمى نحويًّا وبلاغيًا بالمعنى الثاني.

نشأة نظرية الأفعال الكلامية

يُعَد فلاسفة اللغة أوّل من أسهم بشكل مباشر في نشأة (نظرية الأفعال الكلامية)، وكان الدافع: ((وراء دراستهم للغة هو التوصل إلى فهم أفضل لكيفية عمل الذهن في تصوره للعالم))[٢] ويمكن القول إنّ نشأة هذه النظرية قد مرَّتْ بمراحل عدَّة تمثلت المرحلة الأولى باتخاذها الصيغة الصورية أساسًا لها، ثم الاستقرار عليها في المنطق الرمزي، واقترحت للُّغة أنموذجًا اصطناعيا صارمًا تُفسِّر على إثرها التركيبات اللغوية في اللغات الطبيعية على الرغم ما يكتنف هذه اللغات من غموض، ولعلَّ أبرز مَن مثَّل هذه المرحلة هم: (فريجه frege ورسل RussL، وفينغشتاين wittgenstein)[٣] .

ثمّ بعد ذلك ظهرتْ مرحلة جديدة تمثَّل بتيار من فلاسفة اللغة عكف على دراسة اللغة الطبيعية، جاعلًا الغموض جزءً جوهريًا من اللغة؛ لكونها – اللغة – الوسيط الأمثل الذي يعتمده الإنسان في مقاصده وأفكاره في إنجاز الأعمال ، ونقل

(١) ينظر: اللغة والمعنى والسياق ٢٠٠

(٢) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ٢٠

(٣) ينظر: تحليل اللغة في رسالة فينغشتاين المنطقية الفلسفية ٥٣ ، ونظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي ١٠٥

الخير ووصف الواقع، ويُعد كلًا من (فنغشتاين ورايل Ryle وأوستين Austin) رواد هذا التيار [١] .

ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ هذا التيار اندرج من ضمنه مصطلح (الفلسفة التحليلية)، ويعني التحليل المنطقي للغة بعامة ، وأوضح فلاسفة أكسفورد أنه إذا: ((كان الوضعيون المناطقة قد نظروا إلى الوصف أو (التقرير) على أنَّه الوظيفة النموذجية الجديدة بالبحث الفلسفي، وحاولوا بالتالي أن يجعلوا من العبارة التقريرية قالبًا تُقدُّ عليه عنوةً كلّ صور التعبير اللغوي بحجة أن هذه العبارة هي وحدها ذات المعنى، فإنَّ فلاسفة أكسفورد قد نظروا إلى الوصف بوصفه وظيفة واحدة من بين وظائف كثيرة متنوعة للغة ؛ إذ توجد إلى جانب الوصف أغراض أخرى تستعمل من أجلها اللغة، فهنالك السؤال والأمر والنهي والتعجب والرجاء. الأمر الذي دفع فلاسفة أكسفورد إلى البحث عن قواعد الاستعمال))[٢] .

وإذا ما انتقلنا إلى البداية الحقيقية لهذه النظرية فإنَّها ظهرتْ منذ أن أراد أوستن تجاوز ما كان سائدًا في الفكر اللساني والفلسفي حينذاك، أي حينما أُعطيت الجمل المكانة الأولى وصفتها للواقع، وهذا يعود إلى عدَّهم اللغة هي (وصف)، ويمكن عَدّ موقف أوستن هنا موقفًا مضادًا [٣] ، حينما قرَّر في النصف الثاني من القرن العشرين أنَّ اللغة لا يمكن أن تنحصر في الدائرة الوصفية للوقائع الخارجية ، بل تتجاوز ذلك لقدرتها وقابليتها التجريبية ، ثم اتصالها الوثيق باللغة البشرية

(١) ينظر: سياق الحال في الفعل الكلامي :١٠٢

(٢) التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد ١٨

(٣) ينظر: في فلسفة اللغة ٢٠

والطبيعية ، ونبَّه على الفرق بين المنطوقات الأداتيّة والتقديريّة، وأنَّ اللغة لا يمكن أنَّ تُعد وسيلة مجردة لوصف الخبر ونقله [١] .

وقد قدَّم أوستن بحثًا آخر حول الأفعال الإنجازية ، فحينما يقول الشخص: اترك هذه الساعة ميراثا لأخي [٢] ، نجد أنَّها جملة لا تصف شيئًا بل غيرت واقعًا وأنشأت آخر جديدًا ، يتطلّب فيه تحويل الشيء من ملك شخص إلى شخص آخر؛ أي : يتطلب إنجازًا ، فقد اصطلح على مثل هذه الجملة التي لا تطلب وصفها بالكذب والصدق ب(الجمل الإنجازية)[٣] .

ومن هنا فقد صنَّف أوستن الأفعال الكلاميّة إلى صنفين رئيسين هما: (الأفعال الإخبارية) التي تعني الإخبار عن الذوات أو غيرها من الأشياء، و (الأفعال الإنجازية) ، وهذه تتسم بطابع أدبي تشتمل على صيغ متعددة منها الأمر، والوعد والاعتذار، والسؤال ، والتسمية وغيرها، ليتضح لأوستن بعد ذلك أن الفعل الإخباري يمكن أن يخضع لقوة الإنجاز الفعلي للمنطوق اللغوي ؛ إذ بمجرد ظهوره أو الإفصاح عنه يمكن أن يتحول إلى إنجاز كلامي[٤] ، بمعنى آخر: أنَّ هذين القسمين متمايزان؛ أي : إنَّ (أداء الكلام) هو الفكرة التي استحوذت على توجهات أوستن فقد صرَّح في كتابه أنَّني: (حين ألفظ أو أقول كلامًا ما فأنا أنجز حقيقة فعلًا ما)[٥] .

---

(١) ينظر: في البراجماتية : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ٢٨ ، والأفعال الكلامية ونماذجها التطبيقية في القرآن الكريم ٢٥٢

(٢) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة ١٦

(٣) ينظر: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية (بحث) ١١ – ١٢

(٤) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية الحديثة ١٥٧ ، والمصطلحات المفاتيح للخطاب ٧

(٥) ينظر: موقع ويكيبيديا الأفعال اللغوية (مقال) htpps:\\ar. Wikipedia.org\wik

والجدير بالذكر هنا أن الفعل الإنجازي يمتاز عن الفعل الكلامي من الناحية اللغوية بأنه يتحقق عن طريق صيغة المفرد المتكلم نقول مثلًا: (أعدك بالحضور)، أما الفعل الكلامي فيمكن أن يتحقق بكلمة واحدة فحسب كقولك: شكرًا [١] .

وعلى الرغم من إطالة التفكير عند أوستن وتقسيماته هذه إلّا أنه توصل في النهاية إلى أنَّ الحدود بين هذين النوعين غير واضحة، ليبدأ بتقسيم آخر للأفعال الكلامية فوجد أن الفعل الكلامي يتكون من ثلاثة أفعال تُعَد كلها جانبًا لفعلٍ واحد [٢] هي :

أولًا: فعل القول Acte locutoire :

يُقصد به: ((إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى))[٣] ، ومعنى هذا الكلام أن فعل القول في هذا الصنف مؤلَّف من فعل تصويتي؛ أي: إصدار أصوات للُّغة المعينة، وفعل تركيبي مسؤول عن تأليف الأصوات والألفاظ لتكونا متصلتين ولاسيّما أنَها خاصة بقواعد معينة من النحو والتركيب، ومن فعل دَلاليّ يكون مرتبطًا بمرجعٍ ومعنى معين، ويُقصد بالمعنى هنا أن المعنى والمرجع نفسيهما قُصِد بهما أفعالٌ تابعة للإنجاز حال إيقاع الفعل الخطابي وحصوله [٤] .

(١) ينظر: مقالات في التداولية والخطاب ١٤٧

(٢) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة ٧١

(٣) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ٨

(٤) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة ١٢٧

ثانيًا: الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول) Acte illocutoire

يُقصد به إنجاز عمل بقولٍ معين، واقترح أوستن تسمية الوظائف اللسانية الثانوية لهذه الأفعال بـ(القوى الإنجازية) أو الإنجازيات [١] ، فالفعل اللفظي يؤدي معنى أضافي معين يتضمن المعنى الأصلي، يتمثل الفعل الأول بالأصوات اللغوية تركيبيا ودلاليًا، أما الفعل الثاني فيتضمن القيام بفعل معين ضمن الفعل الأول [٢] .

ثالثًا: الفعل التأثيري Acte Perlocutoire

يُعدُّ من أهم الأفعال عند أوستين؛ لكونه يشكِّل صلب العملية اللسانية ؛ إذ يعتمد هذا الفعل على الأثر الذي يحدثه في السامع أو المخاطَب ، ومدى القوة الإنجازية لديه، سواء أكان التأثير لغويًا أم استجابة شعورية معينة[٣] ، والجدير بالذكر هنا ان هذا الفعل يمكن ألّا يلازم الأفعال الكلامية كلها ؛ إذ وجد أوستن أن من الأفعال ما ليس له تأثير على المتلقي[٤] ؛ لأن بعض هذه الأفعال تتطلّب مجموعة من الظروف حتي يمكنها ان تحقق أغراضها[٥] ، وعلى إثر ذلك قسّم أوستن الأفعال الكلامية حسب القوة الإنجازية لها على خمسة أصناف ، ويعتمد هذا التصنيف على الوظيفة التي يؤديها المنطوق[٦]، وهي أفعال الأحكام ، أفعال القرارات (الممارسة)، أفعال التعهّد ، أفعال السلوك ، أفعال الإيضاح[٧] .

---

(١) ينظر: الفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي (أطروحة) ٧٦

(٢) ينظر: بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية) ١٠٠

(٣) ينظر: المصدر نفسه :١٠٥

(٤) ينظر: بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج ١٠٠

(٥) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ١٨ –١٩

(٦) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان ٦٠

(٧) ينظر: المصدر نفسه ٦٢

أمّا سيرل فقد أولى هو الآخر عناية كبيرة للأفعال الكلامية ، فبعد أن قدّم كتابه (أفعال الكلام عام ١٩٦٩) ، أراد من ذلك أن يتحول الى معالجة مشكلات نظرية المعنى في كتابه الصادر عام ١٩٧٩ بعنوان (التعبير والمعنى : دراسات في نظرية الكلام) ، إلّا أنه في عام ١٩٨٥ اشترك مع دانيال فندرفكن في كتابهما (أسس المنطق المتضمن في الكلام) ، إذ قدّما فيه تحليلًا مفصلًا لنظرية أفعال الكلام [١]

بعد ذلك عمل سيرل على إعادة النظر في مكونات الفعل الكلامي ، وذلك بتعديل التقسيم الذي قدّمه أوستن ، إذ جعله أربعة أقسام ، مبقيًا على القسمين الإنجازي والتأثيري ، في حين جعل الفعل اللغوي الأول على قسمين :

الفعل النطقي: ويضم كلاً من المستوى الصوتي والمستوى التركيب (عند أوستن)

الفعل القضوي : ويقابل المستوى الدلالي في تقسيم أوستن ، ثمَّ نصَّ على أنه لا يقع وحده بل يستعمل مع فعل إنجازي ، فلا يمكن التلفّظ بفعل قضوي من دون أن يكون هناك قصدًا في نطقه [٢]

وينطلق سيرل نحو نظرية متطورة للأفعال الكلامية ، ذاكرًا أنّ هناك تماثلًا شديدًا بين أفعال الكلام وبين القصدية – قصديّة المتكلّم– إذ يزعم أنّ الوصف اللفظي يعبّر عن اعتقاد، وأنّ الأمر يعبر عن رغبة، والوعد يعبّر عن نيّة [٣]، وسأذكر هنا بإيجاز ما حدّده الباحثون بما قدّمه سيرل وهو:

---

(١) ينظر: العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ٣٣

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر ٧٤

(٣) سياق الحال في الفعل الكلامي ١٢٧.

١- عدَّل التقسيم الذي قدَّمه أوستين للأفعال الكلامية ، فجعله أربعة بدلًا من ثلاثة وأبقى على قسمين فقط هما: الإنجازي والتأثيري

٢- يرى سيرل أنّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي.

٣- استطاع سيرل أن يطوّر تصوّر أوستين لشروط الملائمة أو الاستخدام التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقًا [١].

وعلى هذا الأساس صنّف سيرل الأفعال الكلامية وفق معايير منهجيّة هي: (الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالِم، الإخلاص في صدق المتكلم)[٢] ، لذا التقسيم لديه اشتمل على : (الإخباريات ، التوجيهيات، الالتزاميات، التعبيرات ،الإعلانيات)[٣]

نظرية الأفعال الكلامية وعلاقتها بنظرية الحجاج اللغويّ

يمكن القول إن هذه النظرية – نظرية الحجاج اللغوي- هي تطوير لنظرية الأفعال الكلامية لأوستن وسيرل ، وتداولية بنفينيست ، التي انطلقت من محورية التلفّظ في الخطاب ، فالخطاب لا وجود له بغير المتكلّم والمستمع ، ثمَّ إن هذه النظرية تعدُّ الحجاج فعلًا لسانيًا يقوم على أن اللغة تمثّل مجموعة من العلاقات التي توجّه القول أو الحجج نحو وجهةٍ معيّنة ، وهو كذلك ليس نشاطًا لسانيًا بين أنشطة أخرى ، بل هو المعنى نفسه ، وأن أساس تأويله يكون في الخطاب [٤]

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧١- ٧٤.

(٢) ينظر: بين تداوليّة الأفعال الكلامية والحجاج ١٠٣.

(٣) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان ٦٣

(٤) ينظر: في حجاج النص الشعري ٢١ -٢٢

وقد جاءت هذه النظرية في مصنّف صدر عام ١٩٨٣ بعنوان (الحجاج في اللغة) لكلٍّ من اوزفالد ديكرو وإنسكومبر ؛ إذ عملا على إعادة تحديد مفهوم الحجاج انطلاقًا من تحليل(الكلمات الفارغة) ؛ أي: الروابط ، وهي تطبق على الكلمات التي تقدم تحليلًا قائما على التوجيه الذي توفّره للخطاب[١] ، و : ((تنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤداها : إننا نتكلّم بقصد التأثير ، وهي تحاول تبيين تبيين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية))[٢]

إذن اللغة تحمل في طبيعتها وظيفة حجاجية ، ويتمثّل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ، وهذا الذي نادى به ديكرو [٣] ، بالإضافة إلى ذلك أن وظيفة اللغة ليست التواصلية الإخبارية فحسب ، وإنما الحجاجية ؛ أي إن ديكرو لا يرمي الى إخبار المتلقي ، ولا يقصد الى تقديم المعلومات ، بل يسعى الى التأثير بالمتلقي ، والحجاج عند ديكرو بخلاف الذي عند بيرلمان ، فالأخير يأخذ بماهية الخطابة عند أرسطو ، بمعنى أن كل قول يرمي من ورائه الى ممارسة فعل إقناعي على المخاطب ، ولكن ليس كل قول حِجاجًا أو ذا اتجاه حجاجي حسب رأي ديكرو[٤]

أما الاختلاف بين النظريتين فيكمن في أن الحجاج عند (بيرلمان) يعدُّ حجاجًا اعتياديًا ، أما عند (ديكرو) فيعدُّ حجاجًا تقنيًا ؛ لأنَّ بيرلمان يتحدد الملفوظ الحجاجي

(١) ينظر: الحجاج (كريستيان بلانتان) ١١٧

(٢) اللغة والحجاج :٨

(٣) ينظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ٣٥

(٤) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ٣٦

بقدرته بقدرته على توجيه الأذهان إلى الإذعان ، أما عند ديكرو فإن وظيفة الكلام أن يوجّه لا أن يدل ؛ لن كل كلام حجاجي بطبعه [١]

وكان لابدَّ لي هنا أن أُبدي رأيي بشأن الأفعال الكلامية في التذييل والحقيقة أنَّني وجدتُ أنَّ الحجج تمتلك نمطًا من التنظيم والتسلسل، وحجج أبي حيّان جاءت منسجمة ومترابطة مع بعضها، وهذا الترابط لم يأتِ من فراغ ، وإنَّما راعى فيه المتلقي وظروف الخطاب ، وأنَّ اختياره للأفعال الكلامية في التذييل جاء في السياق المناسب فضلًا عن إدراكه للعلاقة ما بين هذه الأفعال والسياق الذي وُضعت فيه، ونتجتْ عن هذه العلاقة تنوعًا في الحجج اللغويّة، فضلًا عن موقف أبي حيّان تجاه حججه وموقفه تجاه العلماء الذين يحاججهم فظهرت خاصة في أفعال السلوك.

وكان لأبي حيّان الأثر الكبير في تحديد مسار الحجج ونوعها وطبيعتها وإعطائها الكمية اللازمة من الطاقة الحجاجيّة لكلِّ ملفوظ، وهذا يقودنا إلى تساؤلٍ وهو : هل الأفعال الكلامية – أفعال أوستن – وصلتْ إلى حد الإقناع الذي هو غاية الحجاج؟ ، وربّما تكون الإجابة عن هذا التساؤل أنَّ الإقناع لا يتوقف عند المتكلم فقط أي أبي حيّان، بل يشمل المتلقي وتفاعله مع الحجج، فالانفعالات التي أثارها أبو حيّان ساعدته في تقبّل فكرته وآرائه لدى المتلقي، في مقابل ذلك ، يمتلك أبو حيان كفاءةً حجاجيّة تداوليّة مكّنته من تحديد قصده ، فالحجاج يتطلّب موقفًا من المتكلّم، ولابدَّ له إذن أن يبني حجاجياته على افتراضات يمكن أن تُستنتج عن طريق فرضيات عقلية تجعل الكلام ناجحًا ومقبولًا.

(١) ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ٧٨ –٨٤

وفي العودة إلى الأفعال الكلاميّة عند أوستين تحديدًا (الفعل الإنجازي) الذي يتحقق عن طريق الإنجاز، أي: إنَّ المتكلّم بتلفظه للفظٍ معيّن يُنجز حدثًا قصديًا، ومن الأفعال الكلامية القريبة إلى هذا المعنى هي (أفعال السلوك) واتَّصفت هذه الأفعال بمعيار الصدق في كتاب التذييل، فيمكننا الجزم بأنَّ أبا حيّان ثقة، وهي في الوقت نفسه ملفوظات أدائيّة تتميّز بمعنى اجتماعي بمجرّد النطق بها فجاءت موافقةً في سياقها، وفي هذه الحالة يمكن عدّ أغلب الملفوظات في التذييل تحمل دلالة إنجازية تمثّلت بأفعال الأحكام والقرار والتعهد ، مقابل ذلك تحمل دلالة وصفية، وهذا نجده في ردِّ أبي حيّان على الفارسي زعمه أنَّه لا يجبُ البناء إلّا الشبيه بالحرف ، أو مَن تضمَّن معناه ، ولا يجوز بناء الاسم ؛ لأنَّ الأسماء أصلها البناء، وإن وقع موقع اسم مبني أو وقعت موقع فعل ؛ لأنَّ الأسماء إذا أُشبهت الأفعال فالذي يحصل فيها أنها تمتنع من التنوين لا أن تُبنى[١]، وكان ردّ ومحاججة أبي حيّان على هذا بقوله:

((وهذا الذي ذهب إليه أبو علي مذهبٌ شديد التعسّف ، كثير التكلّف ، وهو مع ذلك فاسد، بدليل بناء الاسم لإضافته إلى مبني ، وإن لم يشبه الحرف ، ولا تضمّن معناه))[٢]، فنص أبي حيّان الحجاجي ظاهره وصفي وهو أنَّه مذهب فاسد، وباطنه إنجازي وهو التحذير من الأخذ برأي الفارسي، وهذا النص يحملُ دلالة إنجازية وصفية صريحة.

(١) ينظر: المسائل العسكرية ٢٣٠ –٢٣١ ، والتذييل والتكميل ١٣٣١١–١٣٤.

(٢) التذييل والتكميل: ١٣٣– ١٣٤.

وقد قدَّم أوستن معايير ثلاثة للفعل الإنجازي وهي: أنه فعلٌ قابل للتفسير، وأنَّه فعلٌ يُنجز في الكلام ذاته، وأنَّه ذو طبيعة تواضعية اصطلاحية[١]، فمن الناحية التأثيرية فإنَّ أفعال أوستن في التذييل مؤثّرة في القارئ، وقد حدثت فيه عملية توجّهية توجيهية، والتوجيه و الإقناع غايات الحجاج، وإنّني حينما حلَّلتُ النصوص الحجاجيّة فإنَّ ذلك تمَّ بالاعتماد على معطياتٍ ذات طابع لغويّ بدءًا من الوصف الدّلالي للملفوظ، وعلاقة الملفوظ داخل السياق، واختيار قصدية المتكلم له، لذا فإنَّ كل خطاب وجّهه أبو حيّان تجاه أحدٌ ما في التذييل اشتمل على مسوغات حجاجية لم تخلُ من التبرير والتعليل والمحاجّة والاستدلال ؛ لإثبات قضية لُغويّة.

نقد نظرية أوستين

كغيرها من النظريات تعرضتْ نظرية أوستن إلى انتقادات عدَّة رغم جهوده؛ إذ قام بعض اللسانيين والفلاسفة بانتقاد النظرية ، ومن هؤلاء بنفينيست [٢] ، وجون سيرل، وبول غرايس، وجاك دريدا، تمثَّل نقد بنفينست في أنَّ التلفظات الإنجازية لا تمتلك كيانًا إلَّا بطريقةٍ شكلية ؛ لذا فقد سلك مسلك النقد اللساني الشكلي، وعارض أيضًا تقسيم أوستين للعبارة الإنشائية إلى أصلية ، وأخرى تصريحية؛ لأنّهما تتعلقان بصورة التلفظات التقديرية [٣]، أمَّا جون سيرل فالمعروف عنه أنّه تلميذ أوستن ، وأنَّه أكمل ما رآه غير مكتمل في نظرية أستاذه ، وقام على إثر ذلك بوضع مجموعة من الشروط المنطقية للفعل اللغويّ تحدِّد كفاءته هي: شروط مضمون القضية، والشروط

---

(١) ينظر: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ٧١.

(٢) إميل بنفينست: لساني فرنسي ولد في سوريا تميز في مجال القواعد النسبية للغات الهندو أوربية ، وبرع في اللغويات العامة ، أستاذ النحو المقارن وأحد أهم مؤسسي التيار الوظيفي في اللسانيات البنيوية الفرنسية ، توفي سنة ١٩٧٦ م. موقع أعلام اللسانيات الغربيين https://bilarabiya.net/category.

(٣) ينظر: نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستين (بحث)٣٩.

الجوهرية، وشروط الصدق، والشروط التمهيدية، فشروط مضمون القضية تعمل على تحديد أوصاف المضمون المعبَّر عنه بقولٍ مخصوص، والشروط الجوهرية تُعيِّن الغرض التواصلي من الفعل التكلّمي، وشروط الصدق كفيلة بتحديد الأقوال الاعتقادية للمتكلّم ، في حين ترتبط الشروط التمهيدية بما يملكه المتكلّم من قدرات واعتقادات المستمع وطبيعة العلاقة القائمة بينهما(١).

أمَّا بول غرايس(٢) فتصدَّى لاستعمال المتكلّم للفعل اللغويّ غير المباشر، الذي يمكّنه من أن يقول أمرًا ويقصد غيره ، ممّا يصعّب الإمساك بالدلالة المقاميّة المقصودة من الخطاب وسمّى هذا الشيء بـ (الاستلزام الحواري)، لذا اقترح حلًّا وأطلق عليه مصطلح (مبدأ التعاون) ، هذا المبدأ يمكّن المشارِك في كل تحاور من أن يتواصل بافتراضٍ إنَّ المشارِك الآخر متعاون ، وبالتالي وظيفته تكون في تنظيم القول على أنّه يُسهم في فعل الكلام أو في دفع غرض الخطاب(٣)، وبدوره فقد قام بعمل مجموعة من القواعد للفعل اللغويّ متجاوزًا القاعدة النحوية والمعجمية التي عمل أوستن على إخضاع الأفعال الكلامية لها وهذه القواعد هي: قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، قاعدة العلاقة، وقاعدة الجهة أو الكيفية (٤).

---

(١) ينظر: اللسان والميزان: ٢٦١.

(٢) أحد التداوليين الذين أسهموا في بناء النظرية التداولية الحديثة لإسهاماته في تيار فلسفة اللغة ولد في مدينة هاربورن في المملكة المتحدة ، درَّس في جامعة أكسفورد ، وعُرف بمؤسس منطق الحوار ، وأسهم في انبثاق نظرية المحادثة ، واقترح مبدأ التعاون الذي يشترك فيه المتخاطبان ، توفي سنة ١٩٨٨ م. ينظر: شبكة بحوث وتقارير https: //arbyy.com/detail.

(٣) ينظر: مبادئ التداولية ١١٠.

(٤) ينظر: الاستلزام الحواري ٩٩ – ١٠٠.

أمّا جاك دريدا[١] فقد نظر إلى نظرية أوستن بتصّورٍ عام للّغة، ومقولة الإنجاز بشكلٍ خاص، إذ يرى أنَّ كل قول أدائي ينطوي على آثار أخرى غير ما قصده أوستن في الإنجاز، فلا بدَّ من أنَّ هناك أمورًا أخرى خارج السياق الدَّلالي، والحقيقة أنَّ دريدا يستند على جملة من الاعتبارات الفلسفية والفكرية والدَّلالية[٢].

وينطلق من قناعة بأنَّ نيّة المتكلّم ليست حاضرة وشفافة بشكلٍ دائم، إلّا إذا كان السياق ينماز بالكليّة ، وأنَّه محدود بصورة شاملة[٣]، وحينما طبّقتُ أفعال أوستن الكلاميّة وشروطها وجدتها متوافرة في التذييل، أمَّا بالنسبة إلى النقد الموجّه من قبل بعض الفلاسفة ، فإنَّ بنفنيست مثلًا حينما صرَّح أنَّ التلفّظات الإنجازية لا تمتلك كيانًا إلّا بطريقةٍ شكليّة، فهذا يقودنا إلى أنَّ أوستين قد صنّف الأفعال الانجازية فقط إلى إنجازية صريحة وإنجازية مضمرة ، ووضع لها معايير، ولم يصنّف الأفعال بحد ذاتها، وهذا يؤدي إلى أنَّ التلفظّات الإنجازية ربّما تكون غير ممكنة؛ لكثرة عددها أو قلّته، أو أنَّها لا تخضع جميعُها لتلك المعايير، أو ربّما تخرج لأغراضٍ أخرى ، لذا كان الأجدر به تصنيف الأفعال مطلقًا في حين وجدتُ شروط سيرل للفعل اللغويّ متمِّمة لأفعال أوستين، فالشرط الأوّل وهو شرط مضمون القضية، نجده في حجاجيّة أبي حيّان للعلماء بصورة واضحة، فنصوصه الحجاجيّة تحملُ وصفًا معبرًا للقول

(١) فيلسوف ومفكر وناقد وأستاذ ومؤلف ارتبط اسمه بمفهوم التفكيكية ، من أصل يهودي فرنسي ولد في الجزائر ، يُعد من أعلام القرن العشرين ، امتازت أعماله بالتنوع فجاءت بالتربية والبنيوية والتحليل النفسي والتعليم والتصوير الفوتوغرافي والهندسة المعمارية والسياسة ، امتاز باحترام الطبقة المهمشة البسيطة الأمر الذي جعله يحظى باحترام الناس له : (مقال نُشر في موقع صحيفة الخليج) https: //www.alkhaleej.ae/.

(٢) ينظر: دريدا وتقويض مركزية الكلام في نظرية جون لانغشو أوستين(بحث) : ٧-٨.

(٣) ينظر: دريدا وتقويض مركزية الكلام في نظرية جون لانغشو أوستين في أفعال الكلام : ٨.

الذي يريدُ وصفه للمحاجَج، وربّما يكون وصفًا صريحًا مثل الفاسد أو الباطل أو الصحيح أو الحسن أو الجيد أو الضعيف.

في حين الشرط الثاني وهو الشرط الجوهري ويقصد به تعيين الغرض التواصلي من الفعل التكلّمي، ويُقصد به قصدية المتكلّم ويسمّيه أوستين بقوّة الفعل أو قوّة الإنجاز، ويُشترط فيه أن يتوفر في السياق: اللغة والمحيط والأشخاص والقصد، وبالطبع فقصدية أبي حيّان وغيره من العلماء واضحة في التذييل لا غبار عليها، تمثّلت بإطلاق الآراء بدون قيد في بيان الصحيح من القواعد اللغوية من عدمها، بالإضافة إلى الصدق من العلماء الأفذاذ الذين أخذ منهم في إثبات الصحيح في المذاهب أو الأقوال.

وشرط سيرل الأخير التمهيدي والتي تتمثّل – كما ذكرتها مسبقًا – فإنَّ أبا حيَان وغيره من العلماء الثقاة الذين أخذ منهم والذين جاؤوا بعده يمتلكون هذا الشرط، في حين أنَّ رأي بول غرايس يتضمن استعمال الفعل اللغويّ غير المباشر _ المضمر_ وهذا ما سأذكره في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله.

أمَّا جاك دريدا فاستناده إلى جملة من الاعتبارات الفلسفيّة والفكرية والدلاليّة وقناعته أنَّ نيّة المتكلّم ليست حاضرة وشفافة دائمًا إلّا إذا كان السياق ينماز بالكليّة، فأنا أُؤيِّد كلامَه، إذ إنَّ كثيرًا من العلماء يُصدرون حكمًا أو قرارًا ثمَّ يعدلون عنه فيما بعد، فنيّة المتكلّم لا تكون حاضرة في الأوقات كلها كما تقدّم.

الأفعال الكلامية عن أوستن

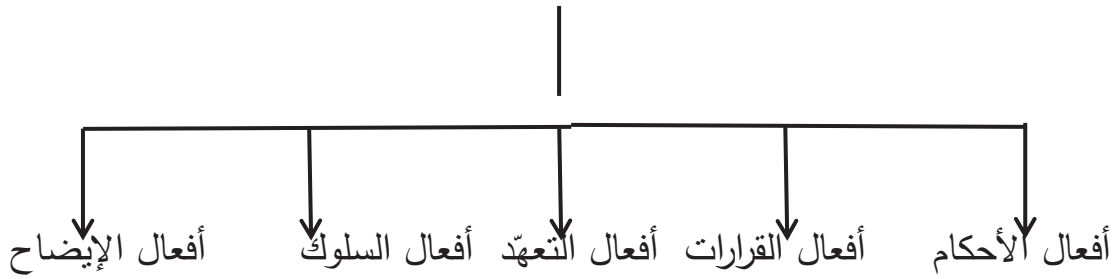

الأفعال الكلاميّة عند سيرل

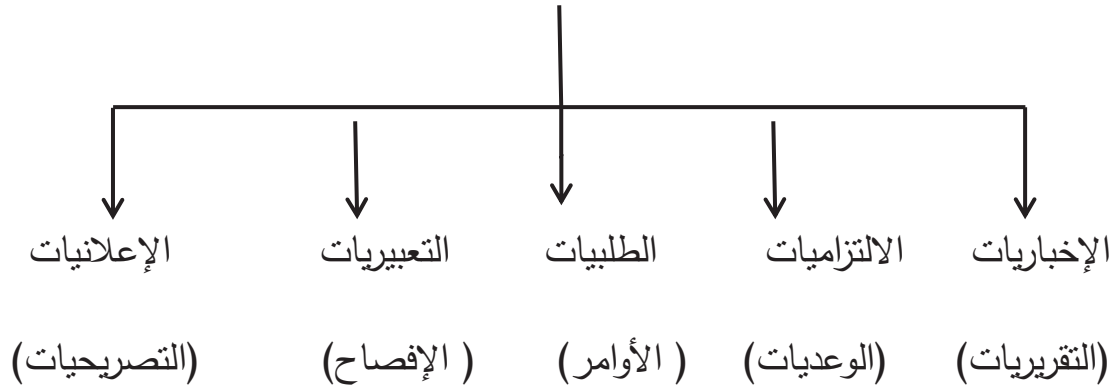

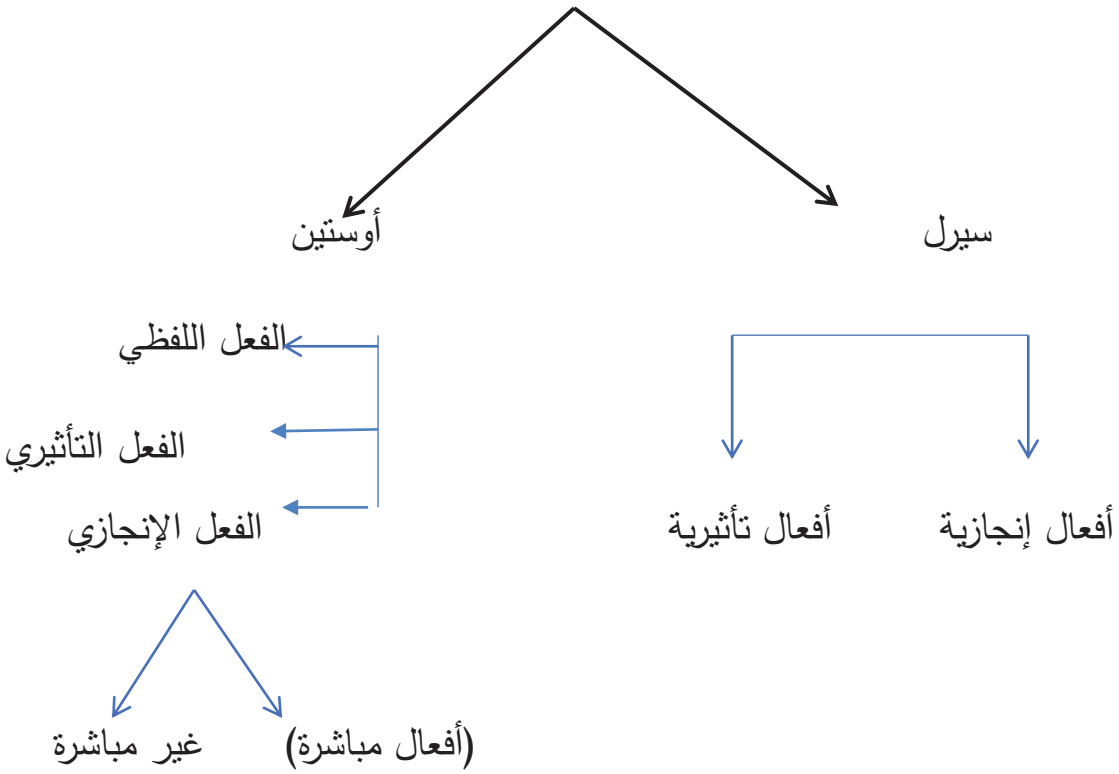

الأفعال الكلامية في الدرس اللغويّ العربي

لنظرية الأفعال الكلامية أثرٌ منذ القِدَم في التراث اللُّغوي العربي ونبدأ من عند الأصوليين ، فقد ذكر الدكتور مسعود صحراوي أنَّهم قسّموا الأفعال الكلاميّة على ثلاثة أقسام هي: أفعال كلاميّة منبثقة عن الخبر، وأفعالًا كلاميّة منبثقة عن الإنشاء، وأفعالًا خاصّة بالعقود والمعاهدات؛ كون تخصصهم في تحليل النصوص الشرعيّة، وكان تقسيمهم يقوم على مناهج عدَّة منها: ربطهم بين الخبر وأغراضٍ أخرى[1]، وهذا ذكره الآمدي (ت٦٣١هـ) ، إذ قسّم الخبر على أنوعٍ عدّة هي:

(١) ينظر: التداوليّة عند العلماء العرب ١٣٣.

١- ((الخبر الصادق وهو المطابق للواقع والكاذب غير المطابق.

٢- مايُعلم صدقه ومايُعلم كذبه ، وما لا يعلم صدقه ولا كذبه.

٣- الخبر المتواتر والخبر الآحاد))[١].

أمّا السرخسي (ت ٤٨٣هـ) فقد قسّم الخبر في كتابه الكبير (أصول السرخسي) على أربعة أقسام هي:

١-الدّلَالَة على أَنهم معصومون عَن الْكَذِب وَثُبُوت رسالتهم بالمعجزات الْخَارِجَة عَن مَقْدُور الْبشر عَادَة وَحكم هَذَا النَّوْع اعْتِقَاد الحقية فِيهِ والائتمار بِهِ بِحَسب الطَّاقَة.

٢-النَّوع الثَّانِي نَحو دَعوَى فِرْعَون الربوبية مَعَ قيام آيَات الْحَدث فِيهِ ظَاهرا.

٣-وَالنَّوْع الثَّالِث نَحْو خبر الْفَاسِق فِي أَمر الدّين فَفِيهِ احْتِمَال الصدْق بِاعْتِبَار، فَالْحكم فِيهِ التَّوَقُّف إِلَى أَن يظهر مَا يتَرَجَّح بِهِ أحد الْجَانِبَيْنِ عملا بقوله تَعَالَى {فَتَبَيَّنُوا} سورة النساء من الآية: ٩٤.

٤-نحو شهادة الفاسق إذا ردَّها القاضي فإنَّ بقضائه يترجّح جانب الكذب فيه وخبر المحدود في القذف عند إقامة الحد عليه ، وحكمه انه لا يجوز الحكم به بعد ذلك لتعيين جانب الكذب فيه فيما يوجب العمل))[٢] .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام : ١٠١٢ – ١٣.

(٢) ١١\٣٧٤.